خطوة على طريق التأصيل

بقلم الدكتور حسن الأمراني

عضو مجلس الأمناء برابطة الأدب الإسلامي العالمية

كانت لفظة الأدب الإسلامي -من ربع قرن خلا- غريبة عند كثير من الناس، وربما كانت مستهجنة عند فئة منهم. فما الأدب الإسلامي؟ وما خصائصه وما مقوماته؟ وهل هو (بدعة) جديدة؟ وكيف نميز بين الأدب (والأيديولوجيا) من بعد؟ وكيف نحكم على تاريخنا الأدبي الطويل العريض؟

وعندما ظهرت بعض الكتب التنظيرية في هذا الباب، ككتاب الأستاذ محمد قطب (منهج الفن الإسلامي) وكتاب الدكتور عماد الدين خليل (في النقد الإسلامي المعاصر)، كان ذلك فتحاً جديداً على الأدب العربي، على الأقل، سر طائفة من الناس وغاظ طائفة أخرى. فقد سر المنتمين إلى روح الحضارة، وبشرهم بضرورة صياغة كل مجالات الحياة صياغة جديدة تقوم على الإسلام، بدءاً من العقل والوجدان. وغاظ ذلك الفتح أولئك الذين عاشوا يصادمون روح الحضارة، ورأوا في هذا المولد كائناً يزاحمهم، ويكاد يزحزحهم عن مواقعهم الأدبية التي تصوروا أنفسهم محصنين داخلها، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا.

وفي أقل من عشرين سنة، صار للأدب الإسلامي مريدوه، كتاباً وجمهوراً، ووجد طريقه إلى القلوب، وصار في نظر الخصوم يمثل -على الأقل- ظاهرة أدبية من الصعب تجاهلها.

وتوالت الكتابة في الأدب الإسلامي، إبداعاً ودراسة، وظهرت -لأول مرة- مجلات متخصصة للأدب الإسلامي، فظهرت (المشكاة) بالمغرب، ثم تبعها ملحق (الأدب الإسلامي) بالهند، ثم مجلة (الأدب الإسلامي) في تركيا، وبدأت

تتحقق عالمية هذا الأدب عمودياً وأفقياً. ودخل الأدب الإسلامي الجامعات، وأصبحت تنجز بحوث ورسائل وأطروحات تتناول هذا الأدب، مما جعل وجود دليل لمكتبة الأدب الإسلامي ضرورة ملحة.

ولقد أحست رابطة الأدب الإسلامي العالمية، منذ مؤتمرها الأول المنعقد في لكنو (الهند) بتاريخ ١٤٠٦/٤/٢٩ هـ الموافق ١٩٨٦/١/٨م، بضرورة وجود دليل لمكتبة الأدب الإسلامي، يكون عوناً للباحثين، ومرشداً للدارسين، فأوصى مجلس أمناء الرابطة بإعداد دليل أدبي مفهرس (ببليوغرافيا) للأدب الإسلامي الذي أنتجه الأدباء الإسلاميون في العصر الحديث، وقد أسند هذا العمل لعضو مجلس أمناء الرابطة الدكتور عبد الباسط بدر، الذي اجتهد منذ ذلك الحين في إعداد هذا الفهرس الذي هو بين يدي القارئ الكريم.

ولما كان إعداد دليل للأدب الإسلامي الذي أنتجه الأدباء الإسلاميون في العصر الحديث، على اختلاف لغاتهم، عملاً ضخماً، كانت الخطوة الأولى ممثلة في الاقتصار على الأدب الإسلامي المكتوب بالعربية.

ومع هذا التحديد، لم يكن العمل هيناً، إذ يتوزع هذا الأدب جغرافياً بين الأقطار العربية، كما يتوزع فنياً بين الكتاب والبحث والمقالة، وبين الشعر والقصة والرواية والمسرحية والنقد والدراسة، وأدب الأطفال واليافعين، وإذا علمنا أن المؤلف الواحد قد يصل إلى عشرين جزءاً كل جزء في موضوع خاص، كما هو شأن بعض كتب الأطفال، تبين لنا بعض الجهد الذي كان على المؤلف أن يبذله لتحقيق الغاية.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذا الأدب مبثوث معظمه في المجلات والصحف والدوريات، التي قد يكون بعضها محدود الانتشار، ازداد إكبارنا للجهد المبذول في هذا الدليل.

وبعد... فقد اعتاد الناس أن يجعلوا المقدمات ثناء وتقريظاً، وهذا العمل الذي بين يدي القارئ يغني محتواه عن الثناء والتقريظ، فلذلك آثرت أن تكون

هذه الكلمات تسجيلاً لما أثاره وما عسى أن يثيره في النفس مثل هذا المؤلف من قضايا تتصل بالأدب الإسلامي.

د. حسن الأمراني

المدينة المنورة في ١٧ ربيع الأول ١٤١٢هـ

٢ سبتمبر ١٩٩١م.

بين يدي الدليل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وعلى أنبياء الله ورسله أجمعين... وبعد:

فهذا هو الجزء الأول من دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث نأمل أن يكون حلقة في سلسلة متتابعة تعرف القراء بما يصدر من نصوص الأدب الإسلامي ودراساته في اللغة العربية، ومن ثم لغات الشعوب الإسلامية الأخرى..

وقد اهتمت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بإصدار هذا الدليل منذ عدة سنوات، وعهدت إليّ بإعداده، وشرعت أجمع المادة الأولية من الصحف والمجلات والدوريات العربية الأخرى، ومن الكتب التي أجدها في المكتبات الخاصة والعامة والتجارية والرسمية.. فوجدت الميدان واسعاً سعة لا تكفيه جهود فردية مهما كانت دؤوبة مجتهدة.. فالعالم العربي ممتد من المحيط إلى الخليج، وثمة إصدارات خارج حدوده تزيد الميدان سعة وتزيد الباحثين مشقة.. ولا بد أن تتكاتف الجهود لتغطية المساحة الواسعة التي ينتشر فيها الأدب الإسلامي ودراساته.

لذلك عمدت إلى إصدار طبعة تمهيدية عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م قصرتها على المقالات والبحوث والدراسات التي تهتم بالأدب الإسلامي تعريفاً ونقداً.. ووزعت الرابطة تلك الطبعة على عدد كبير من المهتمين بالأدب الإسلامي ومبدعيه. وأرسل بعضهم ملاحظاتهم القيمة وبعض المعلومات الجديدة عن كتب ومقالات في الأدب الإسلامي.

ثم شرعت بإعداد هذه الطبعة، واستعنت بالحاسب الآلي لتصنيف المعلومات التي تجمعت لدي، وطبعت قوائم منها أرسلتها إلى كل من عرفت

عنوانه من مبدعي الأدب الإسلامي ودارسيه الذين وردت أسماؤهم في الدليل.. وطلبت منهم تسديد أية ثغرة يرونها في العرض، وتزويدي بالمعلومات اللازمة عن الأعمال الأخرى التي أبدعوها ولم تذكر في القائمة، كما أرسلت الرابطة نسخاً من مسودة الدليل إلى عدد من الإخوة الأفاضل لتقويم العمل وتسديده..

وبحمد الله كانت استجابة الإخوة الذين استلموا الرسائل طيبة، فقد وصلتني رسائل كثيرة فيها تصويبات قيمة وإضافات وسّعت أفق الدليل وزودته بالاصدارات الجديدة حتى نهاية عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، وهو التاريخ الذي قررت أن يقف عنده الجزء الأول.

غير أنني لم أصل إلى ما كنت أطمح إليه.. ولم أستطع أن أتتبع كل ما صدر في البلاد العربية لأسباب كثيرة، منها:

١- إن كثيراً من المطبوعات والدوريات لا تصل إليّ أو لم أستطع الوصول إليها.

٢- إنني لم أجد مركزاً توثيقياً يضم الدوريات العربية كلها.. أو لم أصل إلى ذلك المركز إن كان موجوداً.

٣- إن استجابات الإخوة الذين كتبت لهم الرابطة -على فضلها وأهميتها- كانت تزودني بمعلومات قليلة لا تتعدى ذكر الإصدارات الجديدة لصاحب الشأن، وفي حالات قليلة كان بعض الإخوة يذكر أسماء بعض الكتب والمقالات لكُتّاب آخرين.. وقد تكون المعلومات التوثيقية فيها غير كاملة.. فلا يذكر الأخ رقم العدد الذي نشر فيه العمل المذكور ولا تاريخه، أو لا يذكر اسم الناشر وتاريخ النشر وحجم الكتاب.. الأمر الذي يضطرني إلى تجاوز هذه المعلومات الناقصة.

وأخيراً اقتنعت بما وصلت إليه مبدئياً، وقررت أن أقدمه إلى الرابطة ليكون الجزء الأول للدليل، ولأنهي فترة انتظار طويلة، ولأستنهض كل من يهتم

بالأدب الإسلامي كي يسهم في هذا العمل الكبير المتواصل، نصحاً، وتصويباً، ومعلومات لم أستطع الوصول إليها، وإضافات صدرت بعد عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ولقد أخذت الرابطة على عاتقها مهمة متابعة كل ما ينشر في الأدب الإسلامي، وعنه، وأنشأت في مكتب البلاد العربية قسماً وثائقياً «أرشيف»، كما وجهت المكاتب الإقليمية إلى إنشاء أقسام وثائقية فيها، ترصد كل ما ينشر في مناطقها الجغرافية من الأدب الإسلامي وعنه.

مقاييس الاختيار:

وقبل أن أدخل في تفصيلات الدليل أرى ضرورة توضيح المقاييس الأساسية التي وجهت عملي في جمع المادة وتقويمها وإدخالها تحت مظلة الأدب الإسلامي.

وطبيعي أن يكون أول مقياس هو **مفهوم الأدب الإسلامي وحدوده**.

فما النص الذي يشمله هذا المصطلح؟ ولماذا؟ وما النص الذي لا يشمله؟ ولماذا أيضاً؟؟

يقصد بـ «**النص الأدبي الإسلامي**»: كل عمل أدبي يعرض موضوعاً ما من وجهة نظر إسلامية. وعليه: فكل نص أدبي يحمل قضية أو فكرة أو عاطفة إسلامية، أو يهدف إلى تعزيز قيمة من القيم الإسلامية، هو نص من نصوص الأدب الإسلامي.

وأول دلالات هذا المفهوم: الصفة الأدبية للنص.. فنحن في ميدان الأدب، وأدبية النص شرط أساس لاجتياز **البوابة الأولى** إلى عالم الأدب الإسلامي، وهذه (الأدبية) مجموعة صفات ترسخت في ميدان النقد، تحدد الأجناس الأدبية، وشروط كل جنس.. وتترك هوامش لاختلافات في وجهات النظر بين النقاد داخل الإطار العام المتفق عليه.. فأدبية النص الشعري تكون بتوافر

الشروط الخاصة بالشعر، وأدبية النص القصصي تكون بتوافر الشروط الخاصة بفن القصة فيه... وكذا الأمر في كل فن أدبي، لا بد أن تتوافر فيه الشروط الفنية.

وهنا أشير إلى الموقف من النصوص الشعرية بخاصة، لأن الشعر في عصرنا أوسع ميدان للخلاف.. فمنذ أن اجتاحت تجارب المجددين والمغامرين أسوار الوزن والقافية. وقام بعضهم بتجارب أضاعت خصوصية الشعر.. وقدموا نصوصاً لا تختلف عن أي نثر فني.. وأحياناً غير فني، انقسمت آراء النقاد ومتذوقي الشعر إلى فرق متضادة، ومتحاربة أحياناً، بعضهم يرفض أي خروج عن سنن النهج التراثي، وبعضهم يرفض أي التزام به، وبعضهم يسعى للتوفيق بين هذا وذاك.

ولكن... وبعيداً عن مواقف التشنج والخصومة، يجمع النقاد الموضوعيون على صفات فنية للشعر تميزه عمّا سواه من الفنون الأدبية الأخرى، وتبدو تلك الصفات في الإيقاع المتميز عن إيقاع النثر، وفي اللغة الشعرية، وفي الصورة الفنية، وفي بناء القصيدة. وهذه المحاور، على اختلاف النقاد في جزئياتها، تشكل حدوداً اصطلاحية لفن الشعر، لا بد أن نأخذ بها في تقويمنا الأولي للنص، ولا بد أن نعدها شرطاً أساساً لكي يحمل النص هوية الشعر.

وسوف يلاحظ من يتتبع الدواوين المدرجة في هذا الدليل أن هذا الشرط قد طبق ضمن دائرة (الخطوط العامة العريضة)، وأنني أخذت بالمفهوم الموسع للشعر، الذي لا يقتصر على الشعر (الموزون المقفى). فقد قبلت في فصل الشعر الدواوين الإسلامية التي تعتمد الأسلوب التفعيلي، والتي تتجاوزه أحياناً إلى تجارب إيقاعية لم يقل النقد فيها كلمة الفصل بعد، كدواوين عماد الدين خليل ومحمد علي الرباوي...

وأما دواوين الشعر العمودي، الذي يتقيد بالوزن والقافية، فطبيعي أن يجد في هذا الدليل مرفأ حانياً.. في وقت تهجّم فيه بعضهم عليه بشطط وظلم،

وسيجد المتتبع كماً وافراً منه، كدواوين هاشم الرفاعي، وعمر بهاء الدين الأميري، ومحمد المجذوب، وعدنان النحوي، وشريف قاسم، ومحمد سعد الدبل.. إلخ.

كما سيجد المتتبع أيضاً الدواوين التي جمعت بين النهجين: العمودي والتفعيلي، كدواوين محمد الحسناوي، ومحمود مفلح، وعبد الرحمن صالح العشماوي...إلخ.

وأما البوابة الثانية إلى عالم الأدب الإسلامي فهي صفة (الإسلامية) التي ينبغي أن تتوافر في النص الأدبي.

وقد أصبح من التكرار الممل أن نتحدث عن سعة هذه الصفة، وعن شمولها لكل فكرة أو موقف أو عاطفة إسلامية، وعدم اقتصارها على قضايا العبادات والشعائر والجهاد والزهد.. فكل ما يؤدي إلى تعزيز قيمة من القيم الإسلامية يعد إسلامياً.. وأي موضوع من موضوعات الحياة الإنسانية يمكن أن يكون إسلامياً إذا كانت وجهة النظر إليه أو العاطفة التي تحيط به إسلامية. وسيجد القارئ في الدواوين والقصص والمسرحيات المذكورة في الدليل ما يثبت ذلك، فبعضها يعالج قضايا سياسية، وبعضها يعالج قضايا اجتماعية، وبعضها يعالج قضايا فكرية مختلفة ولا يتحدث بشيء عن العبادات والشعائر، وبعضها الآخر يتحدث.. وكل يشمله إطار الأدب الإسلامي.

المقياس الثاني: في هذا الدليل هو الاهتمام بالنص الأدبي الإسلامي بغض النظر عن المؤلف. فإذا تحقق شرطا الأدبية والإسلامية في النص اعتمدته في الدليل أياً كان مؤلفه. بل ولو كان لمؤلفه نصوص أخرى تخالف (الإسلامية)، فعملي منصب على النص الأدبي وليس على شخصية الأديب واتجاهه الفكري، وأنا مهتم بتقويم الأعمال الأدبية والبحث عن العمل الأدبي الإسلامي وليس تقويم شخصية الأديب وتصنيفه.

وقد خالفني في هذا المقياس بعض الإخوة من دارسي الأدب الإسلامي ونقاده الذين اطلعوا على مسودة الدليل، واعترضوا على ورود نصوص لأدباء كانت لهم مواقف أخرى غير مرضية.. ولكنني مقتنع بصحة مقياسي، فنحن نتعامل هنا مع (الأدب) وليس مع الأديب، والنص الأدبي الإسلامي نتاج موقف معين، نتمنى أن يكون موقف الأديب المسلم في كل حين، ولكن لا يصح أن تغيب عنّا الحقيقة الإنسانية الكبيرة التي لخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن..».

فصاحب الموقف المتألق قد يتعثر في موقف آخر، والعكس صحيح.. كثير من المتعثرين وقفوا مواقف (صحوة الفطرة) وأبدعوا نصوصاً جيدة.. لا يصح أن نهملها بحال من الأحوال، بل إنني أتمنى أن نكون إيجابيين دائماً.. وأن نخاطب صوت الفطرة في الإنسان، ونشجع الأديب المضطرب بين صحوة الفطرة والتعثر على أن يتخلص من عثراته ويؤوب إلى دروب الضياء...

المقياس الثالث: حجم الإسلامية في العمل الأدبي، وبخاصة العمل الكبير ذو الوحدات المتعددة.. كديوان الشعر الذي يضم قصائد كثيرة ، والرواية ذات الأحداث والمواقف المتعددة. عندما يكون هذا العمل متعدد الأصباغ.. تظهر فيه الصبغة الإسلامية حيناً، وتغيب حيناً آخر.. بل وقد تظهر فيه تجاوزات لا يقبلها الوجدان المسلم.. فما الموقف منها؟ وهل نشترط في العمل الأدبي الكبير النقاء التام والبراءة من كل تجاوز؟؟

الحق أن نقاء العمل الأدبي هو ما نتمناه دائماً.. وهو الأصل في إسلامية هذا العمل. غير أن الأدب نتاج بشري يحمل آثار طبيعة الإنسان في ارتقائه.. وفي ضعفه.. صحيح أننا في موقع الاختيار، وأن الذي سيقدم للآخرين أعمالاً أدبية مختارة لا بد أن يضبط موازينه. ولكن المشكلة تظهر في طبيعة الموازين أحياناً، وفي تعامل الآخرين معها.

فثمة فروق فردية بين الناس تجعل بعضهم من (أصحاب العزائم) وتجعل الآخرين من (أصحاب الرخص). وأولو العزم قد يعدّون أية رخصة ضعفاً، وربما شذوذاً أو مروقاً.. وأصحاب الرخص قد يعدّون العزيمة في بعض المواقف تشدداً لا مسوغ له. هذا في السلوك، وفي الفكر.. فكيف الأمر في الأدب.. والأدب بطبيعته خلطة وجدانية تحتمل أقداراً هائلة من التأويل والتسويغ، وثمة من يترخص في الغزل ويعده نفثة الوجدان الصادقة وثمة من لا يقبله، فماذا عن ديوان الشعر الذي يحوي نصوصاً قيّمة تعزز إيمان الفرد، أو تعرض هموم المسلم ومعاناته.. ويحوي إلى جانبها نصوصاً أخرى عن الحب والمحبوب؟ وماذا عن الرواية التي تتجه أحداثها إلى نصرة القيم الإسلامية والتأكيد على أنها القيم الإنسانية الأسمى.. ولكنها تحوي في الوقت نفسه مواقف لا يقبلها المسلم المتطهر؟

ولقد وصلت إلى مقياس وسط بين أولي العزم والمترخصين، لا يفترض في الأديب المسلم المثالية المطلقة، ولا يسوغ الخطأ الصراح، فرأيت أن أقبل العمل الأدبي الذي يكون في توجهه العام نصيراً للقيم الإسلامية، ولو كانت لي عليه هوامش وملاحظات محدودة.. فالديوان الشعري الذي يحوي قصائد إيمانية جيدة ويكون في توجهه العام غير مصادم للقيم الإسلامية الأساسية.. ولكنه يحوي بعض القصائد التي تفلت منها بعض سوانح الغريزة أو شظايا الحصار.. معيب بقدر ما فيه من المنزلقات، ولكن عدالة التقويم تقتضي ألا آخذ الديوان بعثرة أو عثرتين، وأنسى خصالاً أخرى ترتقي إلى سفح من سفوح الأدب الإسلامي... بله القمة.

وكذلك الرواية التي تكون في معظم أحداثها، وفي أثرها العام، إسلامية ولكنها تتضمن أحداثاً ومواقف قليلة تند عن تلك الإسلامية، أقبلها تطبيقاً للميزان الذي قرره أحكم الحاكمين: ﴿ **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾.

إنني لا أدعو إلى تسويغ الأخطاء وقبول المنزلقات، ولكنني أشير إلى بدهية من بدهيات عملي هذا، وهي: إن تقويم من يعدّ دليلاً أو فهرساً يختلف من تقويم من يعد دراسة نقدية مفصلة، رغم اشتراك كل من العملين في الاختيار والتقويم، وصناعة الدليل هو تمهيد لعمل النقد.. وحقل يهيئه الصانع كي يبذر فيه الناقد ويحصد، وكل ما نأخذه على أنفسنا ألا تكون الأرض مالحة تقتل البذور، وألا تكون التربة فاسدة تضلل الزارعين.. وأما أن تظهر بعض الأعشاب والشوائب فأمر نتركه للناقد كي يحاور الأديب فيه، وهذا القدر الذي سكتّ عنه مبدئياً في العمل الأدبي لا يرقى على الإطلاق إلى أن يفسد العمل كله، أو حتى يجعل إثمه أكبر من نفعه، إنما هو في أسوأ الحالات خطأ محدود، ثم إن الأعمال التي وقعت فيها بعض التجاوزات قليلة جداً بالقياس إلى العدد الكبير من النصوص السليمة... فالأدباء الذين رأوا في إبداعهم جهاداً يتقربون به إلى الله، ورسالة يؤدونها، حرصوا -ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً- على تنقية أعمالهم من العثرات والمزالق والتجاوزات.

المقياس الرابع: مقياس يختص بالدراسات الأدبية والنقدية التي تدخل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، فقد رأيت أن أدخل في الدليل الدراسات التالية:

- الدراسات الأدبية للقرآن الكريم التي تهدف إلى استنتاج القيم الجمالية في العبارة القرآنية، لأن هذه القيم هي في النهاية مقاييس نقدية للنص الأدبي الإسلامي.. فالقرآن الكريم ببيانه المعجز هو أول مصدر يستقي منه الناقد المقاييس الجمالية المثلى في التعبير الأدبي، وأول مدرسة يتشرب منها الأديب المسلم تلك القيم، وأول مدرسة ذوقية وأعلاها يصقل فيها المتلقي المسلم ذوقه الأدبي.

- الدراسات الأدبية للحديث الشريف التي تهدف إلى استنتاج القيم الجمالية في العبارة النبوية... وهذه القيم هي المصدر الثاني للناقد والأديب والمتذوق.

الدراسات النقدية الإسلامية للنص التراثي التي تهدف إلى إظهار القيم الإسلامية في ذلك النص، وتهيء المادة الأولية لنظرية الأدب الإسلامي، أو تطبق مقاييسها على النص التراثي، فهذه الدراسات هي قراءات نقدية إسلامية حديثة.

- الدراسات التي تعرض أو تقوّم عملاً أدبياً إسلامياً أبدع في القرنين الهجريين الأخيرين: الثالث عشر والرابع عشر، فضلاً عن العقد الأول من القرن الخامس عشر الهري، وذلك إذا كانت تلك الدراسات تقصد إلى ما يلي:

- إبراز القيم الفكرية، أو الفنية، في العمل الأدبي الإسلامي، أو كليهما معاً.

- عرض أو تقويم مجموعة أعمال لأديب إسلامي لإبراز خصائصه الإبداعية فكراً وفناً.

- عرض أو تقويم ظاهرة أدبية لها صلة بالقيم الإسلامية.

- عرض أو تقويم ظاهرة غير إسلامية، أو موضوع غير إسلامي من وجهة نظر إسلامية.

وغرضي من ذلك إبراز القيم العقدية الإسلامية في الأعمال الأدبية، والأثر السلبي للقيم العقدية غير الإسلامية فيها أيضاً، وهذه الدراسات كلها تصب في مجرى واحد هو: تأكيد العلاقة الحميمة بين النص الأدبي والخلفية العقدية، وإظهار الأثر الإيجابي والسلبي لهذه العلاقة في حالتي الصواب والخطأ.

منهج العرض في الدليل:

اقتصر الدليل في هذا الجزء على الأعمال الأدبية والنقدية الإسلامية في العصر الحديث باللغة العربية، سواء الأعمال التي أبدعت بها، أو التي ترجمت إليها، فثمة مشاريع وضعتها الرابطة لإصدار أجزاء أخرى خاصة بالتراث الأدبي والنقدي العربي، وأخرى خاصة بالأدب الإسلامي بغير العربية.

تصنيف مادة الدليل:

لقد صنفت الأعمال المعروضة في صنفين كبيرين هما: الأعمال التي طبعت في كتب مستقلة، والأعمال التي نشرت في الدوريات. وقسّمت الصنف الأول حسب الفنون التي تندرج فيها موضوعاتها، ورتبتها حسب تسلسل عناوينها في الترتيب الألفبائي كما يلي: أدب الأطفال، بحوث مقدمة للندوات والمؤتمرات، تراجم أدبية، خواطر أدبية، دراسات أدبية للقرآن الكريم، دراسات أدبية للحديث الشريف، دراسات نقدية لنصوص تراثية، دراسات نقدية لنصوص من العصر الحديث، الدواوين، الرحلات، القصة، مختارات أدبية إسلامية من العصر الحديث، مذكرات، مسرحيات. أما الأعمال المنشورة في الدوريات فلم أر حاجة لتصنيفها، لأنها في الغالب لا تخرج عن حيز الدراسة والتعريف، لذا اكتفيت بترتيبها حسب عناوينها ووفق التسلسل الألفبائي.

طريقة عرض اسم المؤلف:

وثمة قضية في عرض مادة الدليل ترددت فيها طويلاً، ثم وصلت إلى رأي اقتنعت به وطبقته، وهي قضية عرض اسم المؤلف.

فقد درج كثير من المفهرسين على تقديم الجزء الأخير من اسم المؤلف (اسم العائلة) واعتماده في تسلسل الفهرسة، فنجيب الكيلاني يعرضونه: الكيلاني نجيب، وعماد الدين خليل يعرضونه خليل عماد الدين. وهذه الطريقة منهج من مناهج التصنيف الغربي، تقرر وشاع في علم المكتبات وعلم الفهرسة (الببليوغرافيا) عندهم، وانتقل إلينا ضمن ما انتقل من العلوم والمترجمات. وقد أخذت به في الطبعة التمهيدية للدليل، متابعة للعرف الجاري، وانتظاماً في المنهج المطبق في جامعاتنا ومكتباتنا.

ولكنني رأيت بعد ذلك أن أخرج عن ذلك العرف، وأسهم في تعزيز عرف آخر ينطلق من قيمنا ويتصل بتراثنا. فالمنهج الغربي مرتبط بقواعد التسمية الغربية، حيث ينسب الأفراد إلى عائلاتهم، ويعرفون بها، حتى ليكاد يغيب

اسمهم الخاص بهم، فالأديب أرنست همنغواي يعرف باسم عائلته: همنغواي ويشار إليه به دائماً، والناقد المشهور إليوت ليس هذا اسمه بل هو اسم عائلته، واسمه الذي قلما يستعمل هو توماس، وصاحب الجائزة العالمية نوبل لا يكاد يعرف أحد أن اسمه: ألفرد!.

إذن فالمنهج الغربي يرتبط بقاعدة لها جذورها وخلفياتها العميقة في الغرب، أما نحن فالأمر خلاف ذلك تماماً... لم يعرف العرب هذا المنهج من قبل ولم يستخدموه. كان الرجل ينادى باسمه واسم أبيه، أو باللقب أو الكنية التي يكنى بها، وعندما جاء الإسلام أقر هذا الأسلوب ودعا إلى الأخذ به؛ فعندما ألغى نظام التبني نص على أن يدعى المرء لأبيه ﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ**﴾ [الأحزاب: ٥]. ولم يحدث في تاريخ الحضارة الإسلامية أن يدعى الرجل باسم عائلته أو باسمه الأخير.

ثم إن الفهرسة علم عريق في الحضارة الإسلامية، وقد اعتمد الأسلوب العربي الذي أقره الإسلام؛ أسلوب عرض اسم المؤلف باسمه الأول، ثم اسم أبيه، ثم جده، أو عائلته، أو قبيلته، وهذه كتب الفهارس والتراجم والرجال تشهد بذلك، وهي تراث ضخم نباهي به كل تراث! بل إننا ما زلنا حتى الآن نحتكم إلى كتاب الفهرست لابن النديم ونبحث فيه عن أسماء الكتب والكتّاب، ونحتكم إلى وَفَيات الأعيان، والإصابة في معرفة أسماء الصحابة، وسير أعلام النبلاء و... وغيرها من كنوزنا العظيمة، فما بالنا نهجر أسلوبنا العريق في علمنا العريق إلى أسلوب آخر؟ وما هو المسوغ الذي يضطرنا لذلك؟ ولم لا نصل حاضرنا بماضينا المشرق؟

لقد استقر رأيي تماماً على الأخذ بالأسلوب التراثي الأصيل، وعرض أسماء المؤلفين وفق الكلمة الأولى من أسمائهم، وليس وفق الاسم الأخير، وأتمنى أن يأخذ بهذا الأسلوب كل مفهرسينا ومنظري علم المكتبات في أقطارنا، لنثبّت عرفاً له جذوره الضاربة في قيمنا وتراثنا وشخصيتنا المتميزة.

وبعـــد:

فلا يفوتني في ختام هذا التقديم أن أشير إلى الريادة الكبيرة في هذا الميدان، ميدان التعريف بمكتبة الأدب الإسلامية، ريادة الأديب الناقد الأستاذ محمد الحسناوي، الذي كان له فضل السبق، عندما نشر عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م مقالاً عرض فيه أسماء الكتب والبحوث التي نشرت حتى ذلك الوقت [انظر البطاقة رقم ١٧٧٥ من هذا الدليل] وقد استفدت من مقاله ذاك، كما استفدت من إبداعه ومنهجه المتميز من قبل.

ويطيب لي أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى كل من أعانني في إخراج هذا الجزء من الدليل، سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم الخير والمثوبة.

وأكرر تأكيدي على أن هذا الجزء رسالة إلى كل من يهمه ازدهار الأدب الإسلامي، تناشدهم أن يزودوا رابطة الأدب الإسلامي العالمية، في أي مكتب من مكاتبها، بما لديهم من ملاحظات واستدراكات ومعلومات موثقة تسهم في إغناء الجزء التالي من الدليل، وتضع بين أيدي القراء والدارسين والنقاد صورة صحيحة لحجم هذا الأدب، إبداعاً ونقداً وتنظيراً، فيد الله مع الجماعة، والسواعد المتكاتفة تصنع الكثير.... والله ولي التوفيق.

د/ عبد الباسط بدر.